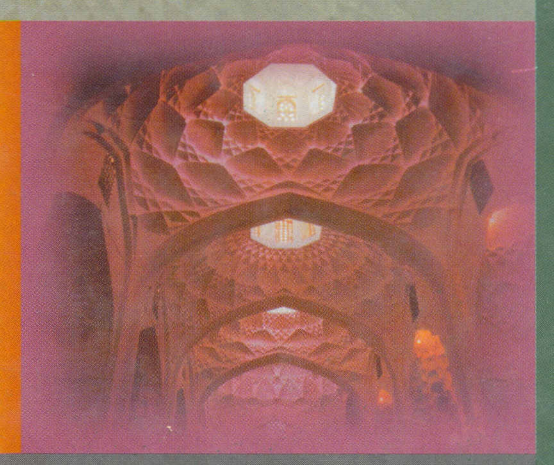


رسائل ابن عربي

الشيّخ الأكبر محيي الدِّين محمَّد بن علي بن محمَّد بن أحمد
ابن عربي الحاتمي الطَّائي
المتوفى سنة ٦٣٨هـ

وضع حواشيه
محمد عبد الكريم النمري

- كتاب الفناء في المشاهدة
- كتاب الألف، وهو كتاب الأحدية
- كتاب أيام الشأن
- كتاب الإعلام بإشارات أهل الإلهام
- رسالة القسم الإلهي
- كتاب الأزل
- كتاب الإسرا إلى مقام الأسرى
- رسالة لا يعول عليه
- كتاب التراجم
- رسالة الانتصار
- كتاب المسائل
- كتاب الإسفار عن نتائج الأسفار
- كتاب حلية الأبدال
- كتاب الوصية



منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

كتاب منزل القطب ومقامه وحاله

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على النبي وآله وسلم تسليماً

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً.

اعلموا وفقكم الله أن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه جعل منزل القطب من الحضرة منزل السر وهجيره من الأسماء الإله ثم جعل منزل الإمام الذي عن يسار القطب منزل الجلال والأنس وله الاسم الرب فله صلاح العالم والنبات وعنده سر البعدية وبيده المقاليد وهو السيد الطاهر في العالم وهو سيف الإمام القطب ثم جعل منزل الإمام الذي عن يمين القطب منزل الجمال والهيبة وله الملك والسلطان بالمقام لا بالفعل وبيده مقاليد عالم الأرواح المجردين عن الصور المسخرين وكيف هيأتهم في الحضرة الإلهية أن القطب وجه بلا قفاء قال ﷺ «إني أراكم من وراء ظهري»[1] فأثبت الظهر حكماً على المادة ونفى حقيقته بوجود النظر منه وجعل الوراء إثباتاً لفقدهم وجعل إمام اليسار ذا وجهين وجه مركب وهو ما يقابل به العالم ووجه بسيط وهو ما يقابل به القطب وجعل إمام اليمين ذا وجه واحد واقفاً ثم غيبه عن الشعور بقفاه فلو سئل لقال إنه وجه بلا قفاء وقد بينا منزل الإمامين في الفلك القلبي من كتاب مواقع النجوم ونحن نتكلم إن شاء الله في هذا الباب على منزل القطب والإمامين بما يليق من هذا الكتاب.

منزل القطب ومقامه وحاله

القطب مركز الدائرة ومحيطها ومرآة الحق، عليه مدار العالم له رقائق ممتدة إلى جميع قلوب الخلائق بالخير والشر على حد واحد لا يترجح واحد على صاحبه وهو عنده لا خير ولا شر ولكن وجود ويظهر كونها خيراً وشراً في المحل القابل لها بحكم

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ٣/ ١٠٣، ١٢٥، ٢٢٩)، وابن كثير في (التفسير ٦/ ١٨٢)، وابن حجر في (فتح الباري ٢/ ٢٠٨ ـ ٢١١)، والسيوطي في (الدر المنثور ٥/ ٢٩٣، ٢٩٤)، وابن عبد البر في (التمهيد ٩/ ١٨٨)، وابن أبي شيبة في (المصنف ١/ ٣٥١)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٣/ ٣٦٥)، والفتني في (تذكرة الموضوعات ١٨٢).

الوضع عند أهل السنة وبالعرض والعقل عند بعض العقلاء قال تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨﴾ [الشمس: ٨] وضعاً صحيحاً من سر الآلهي ثم ظهرت الجنة والنار وجميع النسبة في الوجود نظير الحضرة الذاتية الآلهية ومنها قوله تعالى والله باسم الذات الجامع يقبض ويبسط وبيده المنع والعطاء وعلى التحقيق الذي لا خفاء به عند المحققين أن ما ثم منع البتة بل عطاء سرمد لا ينقطع وفيض دائم وإنما المنع في الوجوب الإلهي الذي أطلق عليه لأمرين، الواحد أن المعطون ليس من حقائقهم أن يقبلوا العطايا كلها في الزمن الواحد لكن يقبلوا بعضها فعدم القبول للبعض سميناه منعاً إلهياً إذ قضية العقل عند من يعتد بهم عقولهم يعطى إن لو شاء لأعطى الممنوع الممنوع له في الزمن الذي منعه إياه وهذا صحيح ولكن لو حرف مشوم ما اقترن قط إلا بما لا يكون قال تعالى: ﴿لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [الزمر: ٤] ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ [الأنبياء: ١٧] ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السجدة: ١٣].

وأما الأمر الذي لأجله سمي مانعاً وليس بمانع وذلك أن العقول تقصر عن درك بعض ماهيات الموجودات فإن الحدود الذاتية عسيرة المنال وأكثر العقول إنما تعرف الأشياء بالحدود الرسمية واللفظية فأفاض الحق جوده على الأشياء فيضاً مطلقاً كفيض الشمس نورها على الأرض للمبصرين فاختلف القبول لاختلاف المجال لا أن النور مختلف ولكن قبول الأجسام الصقيلة له ليس كقبول الأجسام الدرنة.

وأما من هو في كن فليس له إلا ضد النور وهو عطاء أيضاً فيصف المنع هذا المحروم الممنوع للحق وهو الذي حجب نفسه إما بحقيقته وإما بعرض مثل الفعل والكن والران والضد أو غير ذلك من العوارض التي يمكن زوالها ولكنه مدركه لحجبها إدراكاً صحيحاً ولسوقها إلى غير حجبها سميت ممنوعة مما تشوقت إليه فمنزل القطب حضرة الايجاد الصرف فهو الخلفية ومقامه تنفيذ الأمر وتصريف الحكم وحاله الحالة العامية لا يتقيد بحاله تخصيص فإنه الستر العام في الوجود وبيده خزائن الجود والحق له متجل على الدوام.

ولهذا قال الصديق: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله، وله من البلاد مكة ولو سكن حيث ما سكن بجسمه فإنه محله مكة ليس إلا ولا بد لكل قطب عندما يلي مرتبة القطبية أن يبايعه كل سر وحيوان وجماد ما عدا الإنس والجان إلا القليل منهم فقد صنفنا في هذه البيعة وكيفية انعقادها كتاباً كبيراً سميناه كتاب مبايعة القطب في حضرة القرب.

فالإسرار إليه منصة إذا كان المحبوب يعرفه كل شيء فكيف القطب الذي توقفت عليه حوائج العالم من أوله إلى آخره قال عليه السلام إذا أحب الله عبداً أخبر به حملة العرش وأمر جبريل أن ينادي في السموات باسم ذلك العبد حتى يعرفوه ويحبوه ثم

يوضع له القبول في الأرض[١] ولهذا رأيت من رأى الحية العظيمة التي طوق الله بها جبل قاف المحيط بالأرض وقد اجتمع رأسها مع ذنبها فسلم عليها فردت عليه السلام ثم سألته عن الشيخ أبي مدين الكائن بجابية من بلاد المغرب فقال لها: وأنى لك بمعرفة أبي مدين فقالت وهل على وجه الأرض أحد لا يعرفه إن الله تعالى منذ وضع اسمه على الأرض ما بقي منا أحد إلا عرفه هذا حال المحبوب فكيف حال القطب الذي هذا المحبوب حسنة من حسناته وبه صلاح العالم وإليه ينظر الحق في الوجود ونرجو إن شاء الله عن قريب يظهر عنه للخاص والعام فالزموا طريقته وعضوا عليه بالنواجذ[٢].

وسأل بعض العارفين عارفاً آخر وأنا حاضر بمدينة فاس عن شخص الوقت هل هو الآن موجود أم لا؟ فقال المسؤول: لا ولكنه ينتظر فعرفنا قصوره وقلت ما عنده من معرفة سر الله المبثوث في العالم شيء فلو علم أن القطب صاحب الوقت ما من يهودي ولا نصراني ولا نحلة من النحل وملة من الملل إلا ونفسها صبه إليه محبة فيه للسر المودع عنده وإنما تنكر الاشخاص للجنسية وهي الفتنة الإلهية قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ [الأنعام: ٩] وقال: ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٥] ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ [هود: ٢٧] وقال: ﴿يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٣] فهم ينظرون ظاهره إنكاراً يؤدي إلى الموت وهم يعشقونه بأسرارهم ولكن ليس لهم علم بأن هذا الشخص المطرود هو الذي عنده السر الذي تعشقوا به، ولهذا كان عليه السلام يقول: اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون[٣]، وهكذا يقول المحمدي منا حين قال من نزل عن هذه المرتبة ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦] وهكذا يقول من ورث غير المحمدي منا فالقطب يتعجب ممن يقاتله عليه فإن السر الذي قاتل الكفار عليه الأنبياء وذبوا عنه هو الذي جاءت به الأنبياء واتصفت به فلما كان الظاهر ضيقاً لأنه طرف قرن الصور انضغط العالم فيه فحارت الأسرار لذلك الانضغاط فلو انفسحت انفساح الملائكة لنظرت إلى الحق وهي مشتركة فالأقطاب متفاضلون في هذه المرتبة قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] فأكمل الاقطاب المحمدي وكل من نزل عنه فعلى قدر من ورث فمنهم عيسويون وموسويون وإبراهيميون ويوسفيون ونوحيون وكل قطب ينزل على حد من ورثة من الأنبياء والكل في مشكاة[٤] محمد عليه السلام الأمر الجامع للكل وهم

---

(١) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٨/ ٣١٠، ٩/ ٦١٠)، والبيهقي في (الأسماء والصفات ٢٠٨)، وعبد الرزاق في (المصنف ١٩٦٧٣)، والمتقي الهندي في (كنز العمال، ٢٩١٢، ٣٠٧٦١).

(٢) النواجذ: (ج) الناجذ: الضرس أو ضرس الحلُم يقال: ضحك حتى بدت نواجذه؛ أي: استغرق في الضحك، وبالغ فيه. ويقال: عَضُوا عليه بالنواجذ؛ أي: حرصوا عليه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) المِشْكاةُ: كل كوة غير نافذة. و ـ: ما يُحمل عليه أو يوضع فيه القنديل أو المصباح.

المتفاضلون في المعارف غير المتفاضلين في نفس القطبية وتدبير الوجود فإن هذه الدورة المحمدية الذي الولي فيها نبي ليست مثل الدورة الترابية فإن الدورة الترابية كان يوجد في الزمان الواحدنيين وثلاثة وأكثر، كل شخص لطائفة مخصوصة كإبراهيم ولوط في وقت واحد في تلك الدورة تقتضي ذلك بحقيقتها وهذه الدورة العلوية المحمدية ليست كذلك فإن الزمان قد استدار كأوله ولهذا قال عليه السلام: لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني[١]، وقال إذا بويع الخليفتين فاقتلوا الآخر منهما[٢]. فليس الحكم كالحكم ولا الدورة كالدورة وقد تقدم الكلام في استدارة الزمان من هذا الكتاب ولهذا قال عليه السلام: إن عيسى وإن كان نبياً فإنه يؤمنا منا لأمته ويكون من جملة أولياء هذه الأمة فقد جمع ﷺ بين النبوة في دورته والولاية في دورتنا فله حشران.

فإذا قلت فيه ولي فالصديق خلفه وغيره وإذا قلت عليه السلام إنه نبي رسول فالصديق أمامه وغيره فما أعجب معرفة الحقائق وهكذا الناس وكل رسول أدرك محمداً بهذه المثابة ولهذا قال ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] فكانا للناس مثل النبي للناس ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] أي خياراً لتكونوا شهداء على الناس ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] فجعل حكمنا ومنزلتنا في غيرنا من الأمم منزلة الرسول منا فنحن في حقهم رسل ولهذا قال عليه السلام: علماء هذه الأمة أنبياء سائر الأمم[٣]. في هذه المنزلة والمرتبة وكما يحشر كل نبي مع أمته كذلك يحشر كل قطب مع أهل زمانه صالحيهم وطالحيهم وأعجب ما عندنا من العناية الإلهية التي صحت لنا بمحمد ﷺ أن الرسول يحشر جري الحكم لاقترانه أنه بطائفة مخصوصة والقطب منا ليس كذلك فإنه عام جامع لكل من في زمانه من بر وفاجر وإن كان ورثه عيسوياً أو موسوياً فلا يقدح ذلك فيه فإنه من مشكاة محمدية فله المقام الأعم وقد نبه عليه ﷺ فقال عن طائفة ليسوا بأنبياء يغبطهم النبيون للبركة المحمدية التي نالتهم من المقام الاعم وسيأتي إن شاء الله من هذا الكتاب أبواب كثيرة من أحوال الأقطاب وتفاضلهم في المنازل مستوفى إن شاء الله تعالى، وبين أيدينا اليوم تلميذ يخدمنا أرجو

(١) أخرجه علي القاري في (الأسرار المرفوعة ٨٣، ٢٩٢).
(٢) أخرجه مسلم في الصحيح (الإمارة)، والبيهقي في (السنن الكبرى ٨/ ١٤٤)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ٣٦٧٦)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ٥/ ١٩٨)، والخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ١/ ٢٣٩)، وصاحب (ميزان الاعتدال ٣١٤٢، ٦٧٠٨، ٧٦٤٦)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ١٤٨٠٧)، والزبيدي في (الكامل في الضعفاء ٦/ ٢٢١٩)، وابن حجر في (تلخيص الحبير ٤/ ٤٣)، وابن حجر في (لسان الميزان ٤/ ١٣٢٩)، والذهبي في (ميزان الاعتدال ٣١٤٢، ٦٧٠٨)، (أزهر ٣٠).
(٣) أخرجه الألباني في (السلسلة الضعيفة ٦٦٦)، والفتني في (تذكرة الموضوعات ٢٠) وعلي القاري في (الأسرار المرفوعة ٢٤٧)، والعجلوني في (كشف الخفاء ٢/ ٨٣) والشوكاني في (الفوائد المجموعة ٧٨٦)، والسيوطي الحلبي في (الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ١١٣).

أن يكون منهم من أكابرهم وقد بشرنا بذلك وأما مناجاة هذا المنزل المبارك فأنا أذكرها وحينئذ اذكر منزل الإمامين إن شاء الله من هذا الباب.

مناجاة هذا المنزل المحمدية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تلك تميمة الولهان لطارق الإنس والجان، فقل أعوذ بالإله الملك الرب من شر ما يغرا في القلب، حاك في الصدور، محدثات الأمور وسمة القلوب في طلب الغيوب بالسر الموهوب ذلكم حكم الله يحكم بينكم، يا أيها الناس أنتم ثلاثة أطباق هلال الطبقتين في محاق[1] وشمس الواحد في إشراق إن ربك هو الخلاق العليم، يصلح العالم بعلمه ويؤتي الملك بحكمه وينفرد الوسط وإن تأخر في المسطور بسر نظمه إن حكيم عليم سر الغيب والشهادة علم في رأسه نار يضيء للبصائر السليمة والأبصار، فالله يعلم ما يسرون وما يعلنون من جاء ثم حبس لم يزل في لبس من خلق جديد والله على كل شيء شهيد، ختمت اللهم بحق إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ومحمد والحسن والحسين صلى الله عليهم أجمعين إلا ما شفيت صاحب هذه الأسماء وحاملها من كل داء وعصمته من شر كل شر يهجس في النفس وتجري به الرياح.

منزل الإمام الأكمل

الذي على يسار القطب بينه وبين منزل الاتحاد أن يموت القطب فينتقل السر إليه فإن الاتحاد للقطب فإن الإمام قد يموت في إمامته ويلي مكانه الإمام وينتقل واحد من الأربعة إلى مكانه الإمام الآخر وهكذا يتفق في الإمام الآخر ولهذا الإمام المسمى برب العالم وهو عبد الرب:

فما قاتلوا عن ربهم وربيبهم   ولا آذنوا جاراً فيظعن سالما

فعبد الإله هو القطب وليس عند الله أحد البتة وهذا الإمام عبد الرب والإمام الآخر عبد الملك وأسماء بقية العبيد على حسب مقاماتهم فلهذا الإمام معرفة سر الأسرار وله التدبير الإلهي وله في العدد أسرار الإلهية لا يعرفها غيره ويختص هذا الإمام بعلم الصنعة المعشوقة ويعلم خواص الاحجار وهي عنده مكتمة وربما قد يحصل له من معرفة أسماء الانفعالات ما يكون منها حقيقياً وله في المحاربات والمكائد أمر عجيب وهو على النصف من عمره مع العالم وعلى النصف مع القطب أو الحق المخلوق على

(١) المحاق: آخر الشهر القمري حيث لا يظهر القمر، وقيل: ثلاث ليال من آخره أو أن يستسر القمر ليلتين فلا يُرى غدوة ولا عشية.

السواء إلى أن ينتقل إلى القطبية أو يموت وقد تظهر صولته في عالم الكون بالسيف وقد تظهر بالهمة على حسب ما سبق له في الأزل وهذا الإمام عنه تظهر أسرار المعاملات على هذه الهياكل الترابية وله خمسة أسرار، سر الثبات به يعلم حقائق الأمور وبه يدبر ويفصل ويولد ويزوج ويعبر على سر الرموزات وفك الطلسمات(١) وأصول الأشياء الظاهرة والباطنية والحقيقية وغير الحقيقية وله خرق السفينة وله إقامة الجدار وليس له قتل الغلام من حاله وكشفه فإن قتله يوماً ما فعن أمر القطب.

وأما السر الثاني من الخمسة فهو سر التمليك به يرحم الضعفاء وينجي الغرقى ويكسب المعدوم ويقوي الضعيف ويحمل الكل ويعين على نوائب الحق ويجود على من أساء ويعفو عن الجرائم ويصفح ويقيل العثرات ويجمع بين المتعاشقين والوالدة وولدها وهو يطوي الطريق على القاصدين لما اشتاقوا إليه وما أعطته الحقيقة الرحمانية على عمومها من هذا السر ينبعث ظهوره في الوجود.

وأما السر الثالث فهو سر السيادة وبه يفتخر ويبدي حقيقته ويقول «أنا سيد ولد آدم» وإني أنا الله لا إله إلا أنا وسبحاني وما في الجبة إلا الله وما أعطته الحقيقة التي تظهر مكانته ورفعته فمن هذا السر.

وأما السر الرابع فهو سر الصلاح وعن هذا السر الذي له يحمل الخلق على المكاره التي فيها نجاتهم وتجنبهم عن الملذوذات التي فيها هلاكهم وبهذا السر يحول بين الولد ووالدته وبين المتعاشقين وإن تحابا واجتمعا لله وفي الله ويسعى في تفريق الشمل بين المخلوقات فإن هذا السر يعطيه بحقيقته أن الأشياء القلبية لم يخلق بعضها لبعض ولا يغيرها إلا الله فهو يردها إلى مقام التفريد إلى الله وهو الذي أريدت له ولذلك قال ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦] أي ليعرفون ولم يقل وما خلقت الجن والإنس إلا ليأنس بعضهم ببعض ولا يتعشق بعضهم ببعض ولا يتعرف بعضهم أسرار بعض وإنما خلق المكلف من أجله فلا ينظر إلى غيره فبهذا السر يقطع الإمام القلوب عن غير الله ويردها إلى الله وما من حالة من هذه الأحوال إلا والناس يجدونها في نفوسهم ولا يعرفون من أين تنبعث ومعدنها قلب هذا الإمام فهو في حكمه على حسب السر الذي يقوم في حق الشخص المنظور إليه مما سبق في علم الله منه فيقم السر في قلب الإمام على ذلك وما أعطته الحقيقة التي فيها صلاح الخلق عن هذا السر ينبعث.

وأما السر الخامس فهو سر التغذية وبه ينزل المطر ويدر الضرع ويطيب الزرع

(١) الطلسمات: (ج) الطلسم: السرُّ المكتوم. و ـ: نقوش تُنقش على أجساد خاصة في أوقات مناسبة بكيفيات ملائمة لحوائج معلومة يزعمون أنها ترد الأذى.

وتحدث الشهوات وتنضج الفواكه وتعذب المياه وبه تكون القوة تسري في أهل المجاهدات والمحاضرت حتى يواصلون الأيام الكثيرة من غير مشقة والسنين العديدة من غير التفات ولا ضرر وله تمد الحقيقة الإبراهمية والميكالية والمحمدية والإسرافيلية والجبريلية والآدمية والرضوانية والمالكية فإن مدار بقاء العالم على هذه الثمانية وسر بقاء العالم غذاؤه ولهذا الجوهر غذاؤه تجديد أغراضه على الدوام والتألي فمهما عري عنه زمناً فرداً عدمت عينه وبهذا السر غذاء الأغذية وقد ذكرناه في مواقع النجوم في بعض النسخ لأنا استدركناه في الكتاب وقد خرجت منه نسخ في العالم وما أعطته الحقيقة التي بها بقاء العالم ظاهراً وباطناً جسماً وروحاً ونفساً فعن هذا السر ينبعث فهذه خمسة أسرار يختص بها هذا الإمام واسمه عبد الرب.

وفي هذا المقام عاش الشيخ أبو مدين بتجانة إلى أن قرب موته بساعة أو ساعتين خلعت عليه خلعة القطبية ونزعت عنه خلعة هذا الإمامة وصار اسمه عبد الإله وانتقلت خلعته باسم عبد الرب إلى رجل ببغداد اسمه عبد الوهاب وكان الشيخ أبو مدين قد تطاول له بها رجل من بلاد خراسان مات الشيخ قطباً كبيراً وكان له من القرآن ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١] وسيأتي الكلام على حاله عند ذكر أبواب الاقطاب من آخر الكتاب.

منزل الإمام الروحاني

الذي على يمين القطب اعلموا أن هذا الإمام صاحب حال لا صاحب مقام مشتغل بنفسه من جهة مالكه واسمه عبد الملك وإضافته إلى الخلق إضافة غير محضة متمكن القدم في الروحانية له علم السماء وليس عنده من علم الأرض خبر للملأ الأعلى به تعشق وله نشوف أكثر من الإمام الأول لقوة المناسبة وليس عنده سر إلا منهم ولذلك هو غير مخلص فإنهم رضي الله عنهم على ضربين محمول وغير محمول فالأول قائم بنفسه غير محمول وهذا محمود غير قائم واقف خلف حجب السبحات يرى نفسه وربه على حكم ربه لا على حكم نفسه بخلاف من نزل عن مرتبته فإنه يرى ربه على حكم نفسه وأوقاته مشغولة بما هو فيه فهو للقطب مرآة والآخر للقطب محل ومرآة.

وإن كان الأول حظه اللوح والقلم الأعلى فحظ هذا الثاني الإلقاء بما يناسب العلو وله سران سر العبودية وسر السيادة فبسر العبودية هو يسبح الليل والنهار لا يفتر فالتحق بالعباد المكرمين غير أن المقام فيه أمر سفلي فإن الأعداء نطقوا بأنهم جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمٰن إناثاً فإضافتهم إلى الرحمٰن إضافة محضة خالصة ولهذا انسحب عليهم اسم الأنوثية فلو كانوا عباد الإله لغلبت عليهم الذكورية وعبد الملك من عباد الرحمٰن ولذلك هو منكحه للروحانيين تلقى إليه وتنزل فيه ولا يلقى إلى أحد ولا ينزل

في أحد فالأسرار والمعارف والعالم العلوي ينكحه وهو لا ينكح أحداً.

وكذلك كل روحاني من الملأ الأعلى إذا لم يكن لهم في العالم السفلي أثر فهم منكوحون غير ناكحين ومن كان منهم له عندنا أثر فهو منكوح وناكح فغلب عليه التنكير لأنه الأسبق والأشرف تقول العرب الفواطم وزيد خرجوا ولم تقل خرجن وإن كان التذكير واحداً والفواطم جماعة فالتغليب للذكر فتفهم هذا فإنها إشارة لطيفة دقيقة فعبد الملك مؤنث علوي صحيح الحال سعيد فارغ من الكون واقف بين يدي الحق وهو كان الغالب من حال صاحب محمد بن علي بن عبد الجبار النفري[١] صاحب المواقف[٢] فهذا قد ثبت في هذا الباب وقد تقدم الكلام في أول الكتاب على القطب وحقيقته ومنسبه ومصدره وأنه واحد على سر القطبية فانظره هناك.

محاضرة قطبية

في حضرة عينية كنت ببلاد المغرب بمدينة فاس وقد أنست من نفسي بعض إيناس بما استمرنت عليه من العوائد وذهلت في ذلك الحين عن مشاهدة المشاهدة فتنبهت فإذا بالكون قد أخذ بخناقي وشد أسري ووثاقي وأحاطت بي ذنوب الحجاب فقمت قائماً خلف الباب طوراً أقرع وطوراً أتسمع فإذا بالباب قد فتح ففرح صدري وشرح وإذا بالقطب واقف فتبسم وقال: ما يريد العارف فقلت: لي إلى ملائنا العلوي ارتياح لصفات ظهرت علينا قباح وأنا قد وقفت من سري على ما يكون من أمري وإنما غرضي لذة الحال واحد في الترحال.

وقد نظر في الملأ الأعلى بعين السخرية والازدراء فقال: اكتب عني ما يبدو لك مني فما زلت أنظر إليه والأسرار ترد علينا وما يريده القطب ماثل بين أيدينا فانشدته عنه في ذلك المشهد العيني والسر الربي فكأني بلسانه أتكلم وعن ضميره أترجم حتى أتيت على آخر النظم فأمرني بالكتم فكتبت الكتاب وسارت به الهمة على براق الصدق إلى أن حطت بالأحباب فعرفوا مقدارهم.

---

(١) النِّفَّري (توفي ٣٥٤ هـ = ٩٦٥ م).
محمد بن عبد الجبار بن الحسن النفري، أبو عبد الله. عالم بالدين، متصوف. نسبته إلى بلدة «نِفَّر» بين الكوفة والبصرة. من كتبه «المواقف» و«المخاطبات» كلاهما في التصوف.
الأعلام ٦/ ١٨٤، وشذرات الذهب ٥/ ٤٣٣، ومعجم البلدان ٨/ ٣٠٣.

(٢) المواقف في التصوف للنفري وهو الشيخ محمد بن عبد الجبار بن الحسن النفري الصوفي المتوفى سنة ٣٥٤ وعليه شرح للتلمساني (عفيف الدين سليمان بن علي بن عبد الله الأديبي الصوفي المتوفى سنة ٦٩٠) وهو شرح بالقول في مجلد أوله الحمد لله رب العالمين.. الخ ابتدأ بشرح موقف العز. (كشف الظنون ٢/ ١٨٩١).

فصل

قال يوسف بن الحسين سمعت ذا النون المصري(١) يقول لبعض من يزور أبا يزيد: قل لأبي يزيد إلى متى هذا النوم والراحة وقد جازت القافلة قال فخرج الرجل قاصداً لأبي يزيد وسلم عليه وقال له: ذو النون المصري يقرئك السلام ويقول لك إلى متى هذا النوم والراحة وقد سارت القافلة. فقال أبو يزيد: قل لأخي ذي النون أن الرجل كل الرجل من ينام الليل كله فإذا أصبح أصبح آمناً في المنزل قبل نزول القافلة.

قال فرجع الرجل إلى ذي النون فأخبره فقال: هذا كلام لا تبلغه أحوالنا هنيئاً له هذا المنزل منزل عال شريف فيه أسرار عجيبة ومعان لطيفة القائم بهذا المنزل عبد الرب وهو الإمام الأكمل الذي تقدم فيه سر الصباح والظلام والذحول والنمائم والرموز والتحاسد سلوك أهل الطريق إلى الحق على طريقين طريق يسلكونها بأنفسهم وهو قوله من عرف نفسه عرف ربه وطريق يسلك بهم عليها وهذه حالة المرادين المنقطعين والأولى حالة المريدين والمنقطعين ومع هذا فكلا الفريقين سالك وإن سلك به ومثالهما في السفر الحسي سلوك المشاة في قطع المفازات وسلوك راكبي البحر ولهذا شبه بعضهم سير العمر بالإنسان براكب البحر قال قائلهم:

فسيرك يا هذا كسير سفينة ... بقوم قعود والقلاع تطير

فيظهر من كلام أبي يزيد أنه يريد هذا السفر بقوله أصبح آمناً في المنزل قبل نزول القافلة فدل كلامه على أنه طالب ما طلبت القافلة فزاد عليهم بالراحة والنعيم مثل الفقراء مع الأغنياء بنصف اليوم الذي يختصون به في نعيم الجنة ثم تقع الشركة بعد ذلك هذا هو الظاهر من كلام أبي يزيد ولكن له عندنا مدرك رفيع خلاف هذا مذكور في شرح أحواله في الكتاب الذي سميناه: مفتاح أقفال إلهام التوحيد فلينظر هناك ثم نرجع ونقول قال الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] وقال: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النجم: ٨، ٩] ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾ [النجم: ١١] وقال ما وسعني أرضي ولا سمائي وقد وسعني قلب عبدي وهذه بحور لا سواحل لها ولكن لا بد لنا أن نظهر منها قدر ما يليق بهذا الكتاب حتى نستوفيها على مقتضى ما تعطيه

(١) ذو النون المصري (توفي ٢٤٥ هـ = ٨٥٩ م).
ثوبان بن إبراهيم الإخميمي المصري، أبو الفيَّاض، أو أبو الفيض. أحد الزهاد العباد المشهورين من أهل مصر. نوبي الأصل من الموالي. كانت له فصاحة وحكمة وشعر. وهو أول من تكلم بمصر في «ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية» فأنكر عليه عبد الله بن عبد الحكم. واتهمه المتوكل العباسي بالزندقة. فاستحضره إليه وسمع كلامه، ثم أطلقه، فعاد إلى مصر. وتوفي بجيزتها.
الأعلام ٢/ ١٠٢، ووفيات الأعيان ١/ ١٠١، وميزان الاعتدال ١/ ٣٣١، ولسان الميزان ٢/ ٤٣٧، وحلية ٩/ ٣٣١ ثم ١٠/ ٣، وتاريخ بغداد ٨/ ٣٩٣.

مرتبة هذا الكون إن شاء الله فاعلم أن القلوب التي اعتنى الله بها على ضربين قلوب غلب عليها الشوق وقلوب لم يغلب عليها الشوق فالقلوب التي لا شوق لها وصلت إلى شاهد علمها بسير من أنواع المعاملات وقنعت واطمأنت ولذا قيل للمطمئنة ﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ [الفجر: ٢٨] وأين هذا المقام من قوله ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [الفرقان: ٤٥] ثم سدل الحجاب فقال كيف مد الظل فرده إليه فواحد يدعوه من نفسه الأضعف والأقوى والأكبر والأصغر والأعلى والأسفل والأشرف والأوضع، وجهان وجه يجتمع به مع ضده يدل على الله ووجه ينفرد به كل واحد عن صاحبه يدل به أيضاً على العلم بالله فالطرق وإن تنوعت وتشعبت فكلها منه انبعثت وإليه تعود كالخطوط الخارجة من نقطة الدائرة إلى المحيط.

فإذا تقرر هذا وتبين تشعب الطرق إليه فاعلم أيضاً أن له جل وعلا لكل طريق وجه لا يشبه الوجه الآخر كما لا يشبه الطريق فاختلفت إذن المعارف ولا تقول تضادت فصار كل متكلم عن الله بعد مشاهدة كانت منه إليه إنما ينطق عن حقيقة وقد خالف طريق صاحبه فاختلفت المشاهدة فتنوع المشهود فتنوعت العبارة فوقع الإنكار عند السامع المحجوب الذي ليس له مدخل في هذه الحقائق فسمع محققين قد اختلفا وكلاهما يقول: إن الله اريد بما أقول فيحمل السامع كلاهما على الجهل ويقول لا بد أن يكون الحق عند أحدهما.

أو ليس عندهما حق على حسب ما تعطيه القسمة في الانتشار أو الانحصار وكلاهما مصيب لا محالة عند المحقق العارف بالحضرة الإلهية فإذا ثبت هذا فقد تبين أن الساري إلى الحق والنائم في المنزل كلاهما سار وكلاهما عند الصباح واصل غير أن المشاهدة اختلفت إذ ليس طريق النوم طريق التعب كان عليه السلام يحمد على السراء بالمنعم المفضل وعلى الضراء يعلى كل حال والمحمود واحد من حيث الذات والمحمود مختلف من حيث الصفات والأسماء فإن الأسماء التي عينها تكون الذات ليست الصفة التي عينها تكون الالآم فلا وجود للصفات إلا بالذات فلا معنى للذات إلا بالصفات والأسماء، فإذا بالجملة يسلم لمن قال الحمد لله الراحم ويسلم لمن قال الرحمٰن ولهذا حق يرجع إليه فالأمر دقيق يعسر على الأفهام فأبو يزيد نام عاشقاً فاستيقظ ومحبوبه عند رأسه التي تطلبه القافلة والقافلة أصبحت فحطت عند مطلوبها في الوقت الذي استيقظ فيه أبو يزيد برفيقتين صحيحتين مختلفتين متماثلتين.

وقد ذكرنا هذا المقام مرموزاً في كتاب عنقاء مغرب[1] في مرجانة.

(١) كتاب «عنقاء مغرب في معرفة ختم الأولياء وشمس المغرب» للشيخ محيي الدين محمد بن علي المعروف بابن عربي المتوفى سنة ٦٣٨هـ.

صنفه الشيخ في سنة ٦٣٢هـ تكلم فيه على مضاهاة الإنسان بالعالم على الإطلاق ونوى أن يجعل فيه ما =

حم عسق مناجاة هذا المنزل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رد لك حجاب الحق من طوارق الخلق وتمام الطواسم من سر الطلاسم إذا انفجر الصبح ودخل القمر في صورة الفتح فتعوذوا بالله من شره واسألوا أن يدرأ عنكم أليم ضيره وهو اللطيف الخبير ختمت ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧] ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

انتهى الكتاب والحمد لله رب العالمين.

= أوضحه تارة ويخفيه أين يكون من هذه النسخة الإنسانية مقام المهدي، وأين يكون منها ختم لإنسانية الأولياء، فجعل هذا الكتاب لمعرفة هذين المقامين وشرحه بعضهم بعد الإشارة إلى شرحه في رؤياه شرحاً أوله الحمد لله الذي جعل المعاني أرواح الكلمات وهو القاسم بن أبي المفضل الشافعي المتوفى في ربيع الثاني سنة ٩٥٤هـ.